

## أسماء

### قصة واقعية منتزعة من الحياة الاجتماعية

في منتصف الساعة الثامنة كل صباح سوى أيام الجمعة. يرى أصحاب الحو نيت وغللمان القهاوى في شارع ..... فتاة متقنة الهندام رشيقة القوام. تسير رزينة بخطى متشدة في هنة جدية. تحمل بضع كراريس وكتاباً كأنها تقصد الى مدرسة الا أنها فيما يرى الناظر قد تجاوزت سن الطالبة . وكان يرى جميع هؤلاء مضافاً اليهم تلك الفتاة ، شاباً متأنقاً يحمل كتاباً لا أظن القارىء يعنى بما فيه ولا أظن حامله كان يعنى به لان نظره لم يكن منصرفاً الا الى تلك الفتاة .

تكرر هذا اللقاء الصامت الذى يلوح كأنه عن ميعاد مضروب؛ فالتفتت اليه الا نظار بهو كان طبيعياً أن تشتبك أنظار المتلاقين. وما أبوا أن ينال بعد ذلك ستمجالاً للحوادث واقتصاداً في روايتها .

نظرة فابتسامة فسلام ، فكلام فموعد فلقاء .

ولكنى أرجو الى القارى أن يسمح فأقف به قليلاً في منتصف الطريق . جاءت النظرة عفواً والابتسامة ساحة والسلام كرماء أو أدباء لا بأس به. أما الكلام فلا بد للوصول اليه من تفكير وعزم وإقدام . لذلك وقف الفتى أمام هذه المحطة من مرحلة غرامه ، موقف الحائر . أيستوقفها في الطريق فيحادثها . لا . هذا لا يليق بأدابه عدا خوفه من أنظار الناس . وهي ! من يدرى كيف تقابل هذه المرأة . لا . لا . أرسل اليها من يعرض عليها الامر . من وكيف ؟ أيتعقبها في السير أو يرصد عودتها فيعرف منزلها . أخذ يعذب نفسه بهذه الوسوس الى أن انتهى الى العزم أن يكتب اليها وأن يتبعها الى حيث تخف الا نظار عن مراقبته فيعطيه الرسالة . وعلى هذا العزم كتب فعلاً يقسم لها بشرفه وإيانه أنه يحبها وأنه باسم هذا الحب يرجو اليها أن تقابله ولو بضع دقائق . وأنه سيكون صباح يوم الجمعة في حديقة الاسماك في انتظار سعادته أو القضاء عليها . الامضاء رشيد لم يكن من السهل على صاحبتنا أسماء ( ان لم تكن تعلم أنها تدعى أسماء

فليكن في علمك ذلك . ) أن تلبى رجاء رشيد أو تثق بما جاء في رسالته التي لم تشعر إلا وهي ملقاة بين دفترها وكتابتها . فلم تجسر على الالتفات الى من ألقاها كأنها خشيت أنظار الرقباء أو كأنها كانت تعلم ملقبها على أنها لو التفتت لما رأت أحداً لأن الذي ألقاها كان أسرع الى الانزواء من أن تأخذه الانظار . هل تذهب الى الحديقة ؟ ولماذا لا تذهب ؟ ولماذا لا تقابل رشيد ؟ أليست بحكم صناعتها ( وأرجو الى القارىء أن يعلم أنها مدرسة ) تحدث الرجال ؟ أليس لها من علمها الادبي ما يدعوها الى الثقة بنفسها . ولكن من يدري كيف ينظر رشيد الى سرعة تلبيتها رجاءه . أليست طواعة تلبى كل نداء أو يقدر أنها لم تخرج في ذلك عن حدود الآداب واللياقة .

قضت ليلتها مترددة بين الحياء الملائم للعادات والتقاليد . أو اطاعة الحب ملازم الحياة الجديدة الذي فتحت النهضة الجديدة السبيل أمامه .

ملاح صباح يوم الجمعة حتى نهض صاحبنا رشيد . وحق لحيته وهذب شاربه وارتدى أجمل ماله من ثياب وتأبط عصا وكتاباً وانطلق الى حديقة الاسماك وكأنه النحلة تسرع الى الزهرة اليانعة . أسرع فطاف جوانبها وتفقد أقبيتها لما لم يجد أحداً أخذ يخطو الهويناء يستروح النسيم ويقف أمام كل مقصورة ليتأمل مافيها من السمك وكلها جميل في نظره ؛ كلها رشيق كلها محبوب . مضت الساعة التاسعة . فأعاد الكرة متجولاً باحثاً متطالماً الى كل داخل . رابه غيابها ولاح امامه شبح الشك ولكنه بقي يدافع ما يتسرب الى نفسه وما يلوح أمامه بقوة ايمانه بالحب . انتصفت الساعة العاشرة فتجسم الشك ولكنه بدل ان يئس لزم مدخل الحديقة وشخصت عيناها الى الداخلين . وفي هذا الوقت المتوطن على الجمود كان فكره في شغل شاغل : هل سمخرت من رسالتي ؟ لا ، إن صفاء وجهها وصدق نظراتها ادعى الى الرجاء . انها آتية . آتية بلا محالة لتأت ولتقل ما تشاء .

دقت الساعة العاشرة واحس رشيد بخفوق فؤاده خفوقاً شديداً بشره الحظ والامل بأن اورد على ذكرته قول الشاعر .

مالقلب الا داره دقت له فيها البشائر

ماهي الا نظر يتداوله حتى هتفت اجزاء نفسه كل يبشر الآخر هاهي !  
 داهي ! جاءت أسماء وجاءت وحدها . كنسمة السحر او نجمة الفجر وطلعة الصباح  
 فذب الامل المرجو . جاءت في أبهى مايزدان به الفتاة ، وجه كله طلاقة ووسامة  
 وجسم كله رقة ورشاقة ونفس كلها وقار وثقة .

أسرع رشيد اليها في شيء كثير من الورع كأنه مؤمن يتقدم للعبادة . مد  
 اليها يده باسم متواضعاً والى كنفها تقدمته . سارت وهو يتبعها الى قمة تلك الربوة  
 العالية ثم استوت هناك على مقعد كائنها الآلهة . دنا منها يقدم اليها قابله قرباناً جري  
 بينهما حديث العاشقين الذي يعرف مافيه من طرب وسرور ولذة ، كل  
 من حادث حبيباً ، غير أن حديث صاحبينا امتاز عن سواه بأثره في نفسيهما  
 ذلك انه لم يثر فيهما تلك الشهوة الجنسية المتفكرة وراء كبوات الحب الخيالي  
 او ما يدعونه الهوى العذري . بل كان اثره الاحترام ونوع من التقديس لا تدرى ما  
 سببه حتى كأنهما جاءا للاتفاق على التنسك والعبادة لا لحياة الحب وشبهواته . انلك  
 الكتب التي كانا يحملانها او صناعة التعليم وما تقتضيه من التزام الجد والشمعة  
 أم هو شيء آخر ، لذلك كان اقصى ما فاه به رشيد قوله « ثقي أنى أمامك عابد  
 فأسمحي لى أن أدعوك معبودتى »

تكررت المقابلة وتكرر اليقين . وتقدمت الدعوة الى الحياة المشتركة وما  
 ينتظران من سعادة كأنهما وجدوا في ذلك الحب القدسي لذة تستحق ان تقضى  
 فيها الحياة . ادركت الوالدتان على ابنيهما هذا التغير وعرفتا سببه فلم تمض ايام حتى  
 صاحب رشيد والدته لزيارة اسماء في منزلها

علمت والددة رشيد ان والد اسماء يدعى الحاج حسنين وانه من تجار طنطا  
 وكان يزور القاهرة مرة او اثنتين كل اسبوع ، وعلمت والددة اسماء ان والد رشيد  
 تاجر في الحمزاوى . سرت الوالدتان لهذا التعارف وارتاحت كل منهما لعروس  
 ولدها . واتفقتا على محادثة زوجيهما في موضوع الزواج .

ما رأت أم رشيد زوجها حتى أبلغته الخبر قائلة : لقد زرتها وحادثتها وهي  
 فتاة جميلة مهيبة « بنت حلال » عاقلة . ولم تخف عليه ما بين ابنيها والفتاة

من الحب . وبالطبع كل ما عرفته عن أسماء ووالدتها ووالدها ومنزلها . وبينما كانت تتوقع في ختام حديثها كلمة الرضى من زوجها وأنه قد تقطب جبينه وأعلن عدم رضاه عن ذلك الزواج في غلظة وعنف .

حارت الزوجة وأرادت معرفة السبب فلم تظفر من زوجها بغير قوله . لا . لا يمكن . لم يحن وقت زواج ابنك بعد . سأبحث له عن زوجة غنية . ألحت الزوجة في اقناعه وألح في الرفض فلم تر خيراً من الانتظار .

ومن الغريب أو مملاً غرابية فيه ، أن لقيت أم أسماء من زوجها هذا الاعراض والنفور ، وكان الجواب واحداً . أريد لا بنتنا زوجاً غنياً ، وفهمت الزوجتان أن سبب النفور هو حب زوجيهما للمال وخوفه من نفقات العرس فكانت هذه تقول سأعطى ابنتى جميع حلاى . وتقول تلك سأبيع فدائين أزواج بهما ابنتى وأفرح به . ولكن هذه التصريحات أو التسميعات لم تصل بهما الى الغاية . اشتمل المنزلان على القلق وأدرك العاشقان حقيقة الحال فلم يطيقا صبراً . ازدادت أواصر الالفة بينهما ارتباطاً واشتدت رغبتهما فى ان يسكنوا مع بعض فعمداً الى التفكير في طريقة يحققان بها سعادتهما وأحست الوالدتان بذلك فما هى الا أيام حتى دار بين والدته رشيد وزوجها الحديث الآتى .

أم رشيد — ان نتيجة اصرارك على منع ابنتى من حببته أنه سيتركها بعيداً عنا .  
الزوج — لا يمكن .

أم رشيد — بل ممكن جداً وأحسبه قريباً جداً .  
سخر منها الزوج وقال متهمكاً . قريب جداً ! قلت لا يمكن . وكفى .  
أم رشيد — وأنا أقول لك . انى لأستطيع حرمان نفسى من الفرح بابنتى وها أنا ذاهبة لحضور عقد كتابه .

نظر اليها الزوج غاضباً — تحضرين عقد كتابه . أبلغ الامر الى هذا الحد؟  
أم رشيد — وانتهى الامر فقد أبلغنى رشيد أنه استأجر شقة من منزل وفرشها واتفق مع الفتاة ووالديها . ودعا المأذون الشرعى وسيعقد عليها الليلة .  
انتفض الزوج — هذا غير صحيح . أعرف أن والدها لم يقبل هذا الزواج

أم رشيد — ماذا بهم رضى أو لم يرض . كفى أن العروسين راضيان .  
 الزوج — الليلة . بدون على وبدون حضورى . قلت هذا لا يكون . هذا  
 لا يكون . حذار . حذار أن يقع ذلك .

كان فى صوت الزوج هزة خوف عميقة . فكان رنينه فى أذنيها رنين توصل  
 إلا أنها هزت كتفيها وقالت ساخرة — اذا كنت تريد ألا يقع هذا فهيا معي  
 نحضر عقد الكتاب . أوكد لك أنك ستسر بروية العروسين . وتفرح وتدعو  
 لهما بالزواج السعيد . ما أجملها وما أوفر أدبها . انتظرنى حتى ألبس ونذهب معاً .  
 ثم انشنت أم رشيد الى غرفة هندامها . وبقي الزوج جامداً لا يتردد فى خاطره  
 سوى شيء واحد . لا يمكن . لا يمكن . عادت أم رشيد وقد لبست ثياب الزيارة  
 وتهيأت للذهاب . رأت زوجها جامداً فى مكانه فقالت مازحة « شاورت عقلك »  
 « الله يهديك » هيا بنا .

قال الزوج : وكأنه لم يسمع كلمات زوجته — وهل يعقدون الكتاب إذا لم تذهبي ؟  
 أم رشيد — لقد انقلب رشيد فما هو ذلك الابن الطائغ اللطيف الهادى ؟  
 لقد جاءنى فى هيئة المتعنت المستبد . وقال بعنف لم أعرفه فيه . اسمى يا والدتى .  
 لقد انتهين الامر سأعقد كتابى على الآسنه أسماء الليلة . فاذا حضرت كان سرورى  
 عظيماً . حاولت بعد أن عرفت منزله الجديد أن أكلمه أو أمسك به ولكنى أفلت  
 من يدى وطار كالصفور قائلاً . الليلة الساعة الثامنة ستكون أسماء زوجتى .  
 تعامل الرجل كمن يحس المأداً خلياً يحاول ألا يبدو على وجهه . ثم غالب نفسه وقال .  
 ابقى أنت وسأذهب أنا .

أم رشيد — انه ليس ابنك وحدك . انى ذاهبة لا محالة .

الزوج — ابقى . ابقى أنت .

عصيت . أم رشيد وأبت سماع كلمات زوجها فانطلقت مسرعة ولم يسمع الحاج  
 حسنين سوى الجرى وراءها . وهو يردد فى نفسه . لا يمكن . لا يمكن . لقد اتفقت  
 معه والدته اللعينة . هذا انتقام مؤلم .

مادقت الساعة الثامنة من مساء يوم الجمعة . . . . . حتى كانت أسماء والدتها

ورشيد في المنزل الجديد . والى جانب رشيد اثنان من خير أصدقائه . وقد حضر  
المأذون وقدمت القهوة وتلاها شراب الورد وفتح الشيخ دفتري .

في هذه اللحظة دخلت السيدة أم رشيد مسرعة . وهي تقول . رشيد . رشيد  
انتظر . لقد رضى والدك وجاء معي . فهتفت أسماء بصوت خافت . آه ليت والدي  
أيضاً يحضر معه .

انتفض رشيد سروراً وأسرع الى والدته يقبلها في غيرة وعي — والدتي .  
والدتي . ! أين أبي ! أين أبي !

ماظهر الحاج حسنين عند مدخل الغرفة حتى أسرع اليه رشيد وأسماء وكلاهما  
يصيح . والدي ! والدي !

بهتت السيدتان ونظرت كل منهما الى الاخرى نظرة استغراب واستفهام  
يمازجهما شيء غير قليل من نظرة الضرة الى الضرة ثم حولتا أنظارهما الى  
الحاج حسنين .

ولما هدأت سورة المفاجأة قالت أم رشيد لزوجها . هل أنت والد أسماء ؟  
وقالت خربتيا . هل أنت والد رشيد ؟

لا أريد أن أثقل على نفس القاريء في هذا الموقف بالافاضة في بيان  
ما كان يجول بنفس ذلك الزوج الذي عاش بين الضرتين يكذب على كل منهما  
بأنه يعيش لهما وحدها . وقد رأى نتيجة ذلك الكتمان التي كادت توقعه في نكبة  
لا تشرف والدأ

ان نظرة واحدة الى ذلك الرجل تكفي لتعرف ثورة نفسه التي رقرقت  
الدمع في عينه ثم أجرت منها دمية لا تدري أدمعة الندم والاضطراب ؟ أم دمية  
الالم والحزى .

أسرع رشيد الى أخته أسماء واجماً يتردد الفرع في نفسه من هول ما كان  
مقدما عليه . ضم أخته الى صدره وهو يقول . ستبتين يا أسماء معبودة أخيك .  
فأجابته أسماء في جملة الموتور الحانق . على أن تقسم لي بشرقك الاتمخون زوجتك  
بمثل هذا النفاق .